Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حدث للشعراء الذين سكنوا الباذية ولبعضهم ممن جاور البدو والاعراب . ونرى الحضارة ترققها وتجعلها سلسة يقبلها ذوق الحضري . وقد حدث هذا للغة العربية بعد أن دخلت الحضارة والترف مجتمعهم وإلى ذلك أشار القاضي بقوله : « فلما ضرب الإسلام بجرانه واتسعت ممالك العرب وكثرت الحواضر ونزعت البوادي إلى القرى وفشا التأدب والتظرف اختار الناس من الكلام ألينه وأسهله وعمدوا إلى كل شيء ذي أسماء كثيرة واختاروا أحسنها سمعاً وألطفها من القلب موقعاً وإلى ما للعرب فيه لغات فاقتصروا على أسلسها واشرفها كما رأيتهم يختصرون الفاظ الطويل فانهم وجدوا للعرب فيه نحواً من ستين لفظة وأكثرها بشع شنع كالعشنط والعنطنط والعنشق والجسرب والشوقب والسلهب والتوذب والطاط والطوط والقاق والقوق فنبذوا جميع ذلك وتركوه واكتفوا بالطويل لخفته على اللسان وقلة نبو السمع عنه وتجاوزوا الحد في طلب التسهيل حتى تسمحوا ببعض اللحن وحتى خالطتهم الركاكة والعجمة وأعانهم على ذلك لين الحضارة وسهولة طباع الأخلاق فانتقلت العادة وتغير الرسم وانتسخت هذه السنة واحتذوا بشعرهم هذا المثال وترققوا ما أمكن وكسوا معانيهم ألطف ما سنح من الألفاظ فصارت إذا قيست بذلك الكلام الأول يتبين فيها اللين فيظن ضعفاً فإذا أفرد عاد ذلك اللين صفاء ورونقاً وصار ما تخيلته ضعفاً رشاقة ولطفاً فإن رام أحدهم الاغراب والاقتداء بمن مضى من القدماء لم يتمكن من بعض ما يرومه الا بأشد تكلف وأتم تصنع . ومع التكلف المقت وللنفس عن التصنع نفرة وفي مفارقة الطبع قلة الحلاوة وذهاب الرونق واخلاق الديباجة » . (١)

والغرض أو الموضوع يحدد لغة الشعر ، ولذلك نرى الفاظ الغزل تختلف عن الفاظ الحماسة ، والفاظ العتاب تختلف عن الفاظ الهجاء وغير ذلك . وقد أوضح القاضي ذلك بقوله : « ومتى سمعتني اختار للمحدث هذا الاختيار وابعثه على الطبع وأحسن له التسهيل فلا تظنن اني أريد بالسمح السهل الضعيف الركيك ولا باللطيف الرشيق الخنث المؤنث بل أريد النمط الأوسط ما ارتفع عن الساقط

(١) الوساطة ص ١٨ .